

القائد (٤)

«بعد فشل القوميين في انقلابهم ليلة عيد رأس السنة من العام ١٩٦١، عُهد الى الملازم اول ميشال عون مهمة المسؤولية عن النقيبين المعتقلين شوقي خيرالله وفؤاد عوض. بعد مدة جاء بعض افراد الشعبة الثانية لأخذهما وتعذيبهما، فرفض معتبراً ذلك مخالفة قانونية. غضبت القيادة من تصرفه ولكنها لم تفلح في الوصول الى مأربها الا بعد أن كلفته بمهمة وهمية الى صيدا. تفاجأ بالتكليف - الخدعة - وثار غضبه لما علم أن الشعبة الثانية أخضعت الموقوفين لعملية تعذيب فقال: «هذا عمل نازي وغير مقبول». وقد حفظ الدكتور شوقي خير الله (النقيب المعتقل سابقاً) هذا التصرف النبيل وكتب مقالاً تحت عنوان: «عون هو القائد الروحي للجيش» في شباط ١٩٨٩، وقال فيه: «... لقد ظل في الجيش ضباط رفضوا ان يشرفوا على التعذيب من أمثال عبد المطلب الحاج وميشال عون وخليل كنعان وعصام ابو جمرا وكنة كنج...».

أخبرني الكولونيل فايز كرم انه ابان حرب التحرير، وبينما كان القصف ينهال على المنطقة، اتصل به الجنرال عند الساعة الواحدة ليلاً. ظن للوهلة الاولى أن هناك امرأ خطيراً، لكنه تفاجأ لما قال له القائد: «يا فايز في ضابط ضرب شغيل مصري ع محطة بنزين. حقق فوراً بالقضية، واذا الضابط مخطي بتعاقبه وبتحطه بالحبس».

لقد كان ميشال عون انسانياً في حياته وفي كل تصرفاته. رفض الانتقام والظلم ولم يرض أن يدخل لعبة الاغتيالات اطلاقاً.. وكان يقول: «الدم بيورث الدم والثار ما يبيني وطن...».

في العام ١٩٦٩، اعترض النقيب ميشال عون على اتفاقية القاهرة واعتبرها انتقاصاً للسيادة اللبنانية، فكان الضابط الوحيد الذي انتقدها خطياً وقد كتب: «ان قبولي باتفاقية القاهرة يعني خيانة قسمي العسكري». وصلت رسالته الانتقادية الى القيادة، فاستدعت المسؤول عنه واستجوبته. فما كان من المسؤول الا أن اتصل بالنقيب عون وقال له: «شو يا كابتن عون صاير عم تحكي سياسة وتعملي مشاكل مع القيادة؟». فأجابته: «سيدي أنا لا قصدي احكي سياسة ولا اعملك مشاكل. اللي كتبتو كان بناء على طلبكم إنا كضباط نعطى رأينا بالاتفاقية. وبعدين اذا اللي كتبتو مش عاجبكن خرقوه وانتهيت القصة».

بعد اقرار اتفاقية القاهرة اصطدم الجيش مع الفلسطينيين سنة ١٩٧٣ وانتهى الصدام باتفاق جديد سُمي اتفاق ملقارت، وجد فيه المقدم ميشال عون انتقاصاً جديداً للسيادة وهدنة هشة لا بد من أن تفرط. لقد كان على حق، واستمرت التصادمات بين الجيش والفلسطينيين. فقام وكتب مسرحية من وحي الواقع التصادمي والتجاوزات وقد ذكرتها مجلة «الشراع» في احد مقالاتها فقالت: «في عيد المدفعية عام ١٩٧٤ قدمت عناصر من الجيش اللبنانية مسرحية كتبها المقدم ميشال عون، تروي قصة سياح يتفقدون مناطق أثرية في لبنان، فيشاهدون مجموعة من المسلحين من غير الجيش يتدربون ويتساءلون: «هل هؤلاء من الجيش؟» فيجيبهم الدليل: «لا انهم أعداء لبنان، لقد جعلوا انفسهم بديلين عن الجيش». ويسأل أحد هؤلاء: «وماذا يفعل جيشكم؟» فيجيب الدليل: «انهم يريدون منه أن يفعل كل شيء من دون أن يعطوه شيئاً».

لقد تصادم المقدم ميشال عون مع الفلسطينيين مرات عديدة وفي اكثر من موقع. وقد كتب في مذكراته: «لم تكن معاركي مع الثورة الفلسطينية، بل مع المخالفين للقانون والعاثين بالأمن». اعتقل الكثيرين منهم وكان يتفاجأ بهم في اليوم التالي يسرحون ويمرحون، لكنه رفض المس بهم وتعذيبهم. تركت هذه المعاملة الأثر الطيب لديهم وقد ظل بعضهم على اتصال به. وفي عز معركة تل الزعتر توصلوا وياهم الى حل عدة مشاكل وتخليص واناقد الكثيرين منهم...».